Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
Vol. 31, Issue No. 01, 2024

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
المجلد الحادي والثلاثون، العدد01، 2024م.

فلسطين في شعر إقبال وكمالا (دراسة موضوعية)

Palestine in the poetry of Iqbal and Kamala (objective study)

د. عبدالغفار سامي
أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان أزلن شاه، كوالاكنسر، فيرق/ماليزيا
د. رشدي طاهر
أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية
مدير مركز اختبار كفاءة اللغة العربية وتطوير مهاراتها
جامعة الأمير سونكلا الحكومية – فرع فطاني/تايلاند

Abstract

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى استجلاء مكانة فلسطين وأهميتها لدى الشاعر الباكستاني مُحَمَّد إقبال والشاعر الماليزي كمال عبد الله المعروف بـ"كمالا"؛ وقد وقع الاختيار عليهما كونهما يمثلان التوجه الإسلامي في الأدبين الباكستاني والماليزي، فكلاهما لقب بـ "شاعر الإسلام" في مجتمعه، وكلاهما تناول موضوعات تهم العالم الإسلامي وفي مقدمتها قضية فلسطين. وقد انتظم البحث في محورين: الأول عرض نبذة عن حياة الشاعرين وكشف عن مكانتهما الأدبية، والمحور الثاني توقف عند المواطن المتعلقة بفلسطين بين الشاعرين لعقد المقارنة واستخلاص الخصائص. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي، المتمثل في الدراسة الموضوعية لنماذج

من شعر الشاعرين حول فلسطين. ويُتوقع من البحث أن يبرز مكانة الشاعرين وجهودهما في خدمة الإسلام، والدفاع عن مقدساته.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسلامي-إقبال-كمالا- فلسطين-دراسة موضوعية

مقدمة

لعل مراعاة القافية قد دفعت أحمد شوقي إلى اختيار "عُمان" عند تعبيره عن تضامن العالم الإسلامي وأنه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فقال:[1]

كلمـــــا أنّ بالعـــــراق جـــــريح لمـــس الشـــرق جنبـــه في عمانـــه

ولو أتيح لشوقي ذكر دولة من دول العالم الإسلامي في الشرق كإندونيسيا لفعل، كيف لا؟! وشعوب هذه الدول من الذين اعتنقوا الإسلام طواعية، فسرى نور هذا الدين إلى قلوبهم، وتشربت عقيدته في أرواحهم، وطبقوا تعاليمه في حياتهم، واعتبروا جميع المسلمين إخوتهم، يفرحون بما يفرحهم، ويحزنون لما يسوءهم.

وتعد ماليزيا وباكستان من الدول الإسلامية ذات الثقل الاقتصادي والعسكري، ولا تخفى على زائر هذين البلدين مظاهر الإسلام وشعائره، فالمساجد عامرة، وكتاتيب تحفيظ القرآن منتشرة، والمدارس والجامعات الإسلامية مكتظة. كما لا تخفى مشاعر الشعبين وتعاطفهم مع الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض ولاسيما مسلمي فلسطين المحتلة، فكلما اشتعلت أحداثها، وانتفض أهلها، تهافت الشعبان بالآلاف إلى الميادين والشوارع لنصرة إخوتهم، مطالبين بوقف الاعتداء الغاشم، ومنددين بالمحتل البغيض.

ولم يكن الأدباء والشعراء في البلدين بمعزل عن هذه القضية؛ بل جادت قرائحهم وفاضت أفكارهم بنظم أشعار تخدم القضية وتجعلها واضحة لمجتمعهم

خاصة، وللعالم أجمع. مسجلين بذلك موقف شعوبهم وقادتهم على حد سواء؛ فقد عرفت ماليزيا وباكستان بتوافق القيادة مع الشعب تجاه القضية الفلسطينية، فما نسمعه على ألسنة رجالات الحكومة هو ما يردده الشعب في المظاهرات، تنديدا واستنكارا بالعدو الصهويني، وتأييدا ومناصرة للمقاومة الفلسطينية.

ومن هنا جاء اختيارنا لنموذجين من الشعر االماليزي والباكستاني يمكن أن نصنفهما بالأدب الإسلامي، وهي قصيدة "قوة عظمى" للشاعر الماليزي أحمد كمال بن عبد الله المعروف بـ "كمالا"، ومقاطع متفرقة لشعر مُحَمَّد إقبال عن فلسطين، فكلاهما يلقب في الأوساط النقدية ببلديهما بشاعر الإسلام لما اشتهر عنهما بتأثرهما به في النظم؛ وذلك في مبحثين، الأول نبذة عن الشاعرين، والثاني مخصص للدراسة الموضوعية لشعرهما حول فلسطين، والله الموفق.

المبحث الأول: التعريف بالشاعرين

أولا: نبذة عن مُحَمَّد إقبال[2]

وُلد مُحَمَّد إقبال في مدينة سيالكوت (بباكستان حاليا) سنة 1877م؛ وينحدر من أسرة عريقة بكشمير، اعتنق جده الإسلام مبكرا، وعُرف والده بالتصوف، فهو إذن وليد هذه البيئة الروحية.

استهل إقبال دراسته باللغة الإنجليزية التي اجتاز امتحانا فيها بامتياز، مما يدل على تمكنه في هذه اللغة، ثم أكمل دراسته في كلية محلية، حيث درس الفارسية والعربية، وكانت العربية –وفق الغوري– أحب اللغتين إليه بسبب معلمه السيد مير حسن الذي تأثر به أيما تأثر، فقد غرس الأستاذ في طالبه حب الثقافة والآداب الإسلامية، مما انعكس إيجابا على سائر حياته ولاسيما الأدبية منها.

وبدأت رحلته العلمية بلاهور في إقليم بنجاب، حيث الكلية الحكومية التي نال فيها شهادة الليسانس أو البكالوريوس، وحيث ظهرت أمارات نبوغه الأدبي بنظم أولى قصائده "جبل هماله" باللغة الفارسية والتي نشرت في مجلة "مخزن" الصادرة بالأوردية، ثم نظم بواكير شعره المجموعة في ديوانه الشعري الأول،

فاستطارت شرارة شهرته الأدبية، ولفت الأنظار إليه، لينهي هذه المرحلة بشهادة الماجستير، لتكون قنطرة له إلى عالم التدريس أستاذا للتاريخ، والفلسفة، والسياسة، واللغة الإنجليزية. ثم سافر إلى لندن سنة 1905م والتحق بجامعة "كامبرديج" فحصل على شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد، وأمضى يلقي المحاضرات هناك، حتى التحق بجامعة "ميونخ" حيث حصل على الدكتوراه، ثم عرج إلى لندن مرة أخرى، ليدرس الحقوق، ويتعمق في الاقتصاد والسياسة، ويعود إلى الهند عن طريق صقلية سنة 1908م.

أما نبوغه في الأدب فقد ظهر مبكرا حيث لم يزل شابا كما مر؛ وذلك من خلال قصيدته "جبل هماله" والقصيدة من اسمها توحي بنفس وثابة، وتطلع إلى القمم، وتوق إلى رؤية الحياة والعالم من عل، وهو ما يرمز له "جبل هماله" أعلى شاهق في العالم. وكان يقضي وقتا ليس بالقليل لتأليف الكتب ونظم الشعر على الرغم من اشتغاله بالمحاماة، وكان يحرص على حضور المحافل يلقي فيها الأشعار، حتى أضحت هذه الأشعار أنشودة المجالس، ولاسيما أنها كانت تلامس عواطف الحاضرين، وتشعل في قلوبهم الحماسة. لكن أغلب نظمه كان بالفارسية، ثم الأوردية، ولعله آثر الأولى لما لهذه اللغة من انتشار، ولأنها أطوع من الثانية في استيعاب أفكاره ومعانيه.[3]

وعرف عن إقبال أنه كان "الاب الروحى لباكستان" إذ نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس وتأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان. وكان أيضًا جزءًا من حركة النهضة الأردوية في الأدب والفلسفة بما كتب من مؤلفات نافعة تجمع بين الأدب والفلسفة. فهو إذن شاعر وفيلسوف وسياسى وأكاديمي ومحام وباحث.

وتميز بأسلوبه الأدبي الرائد والعميق، قام بتطوير فلسفة تعرف باسم "خودي"، والتي تعني الذات أو الوحدة الذاتية. كتب العديد من القصائد والمقالات التي تعكس رؤيته الفلسفية والثقافية نالت اهتمام الشرق والغرب على

حد سواء. ولنا أن نستخرج خصائص شعر إقبال ممن درسه وعايشه طويلا وهو الدكتور عبد الوهاب عزام إذ يقول عن هذا الشعر: "لا أعرف كشعر إقبال معرفا بالحياة، داعيا إليها، معظما الإنسان، مشيدا بمكانته في هذا العالم، نافثا الأمل، والهمة، والإقدم في نفوس الناس...".[4] فهو إذن شعر إنساني من الدرجة الأولى.

أما عن تأثره بالإسلام فليس خافيا لمن يقرأ لهذا الشاعر المسلم، فكم من قصيدة تمر بين يديه أو بيت يقرأه إلا ويتذكر آية من قرآن، إذ القرآن يسري في كيانه العقلي والروحي والأدبي،[5] وذات مرة سئل عن مأخذ فلسفته المعروفة "فلسفة الذات" فأجاب إقبال قائلا: "هو الآية القرآنية "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون".[6]

توفى إقبال سنة 1938م وترك أصداء وأثرا بعد رحيله، فمن آثاره: أسرار الذات، ورموز نفي الذات، ورسالة المشرق، وأناشيد فارسية، ورسالة الخلود، والمسافر، وماذا ينبغي أن نفعل يا أمم الشرق، وهدية الحجاز؛ وكل ما سبق كتبها بالفارسية. وفي الأوردية كتب صلصلة الجرس، وجناح جبير، وعصا موسى، ومرسالات إقبال ومقالاته. وبالإنجليزية كتب تطور ما وراء الطبيعة في فارس، وتجديد الفكر الديني في الإسلام. أما العربية فلم تذكر المصادر شيئا عن محاولاته فيها، إلا أن كثيرا من دواوينه ترجمت إلى العربية، منها: ترجمة عبد الوهاب عزام، والشيخ أبو الحسن الندوي، وسيد عبدالماجد الغوري وغيرهم..[7]

ولا شك أن هذه الترجمات قد عرّفت بإقبال على العالم العربي، فأثنى عليه أساتذة كبار كالعقاد، وطه حسين، ومُحَمَّد حسين هيكل، وسيد قطب، ونجيب الكيلاني، ومحمود شاكر وغيرهم، وهو ما يدل على الأثر البالغ الذي تركه إقبال في نفوس أولئك النقاد، ويكفيه فخرا من أن الشيخ أبا الحسن الندوي قد أعجب بشعره صغيرا وعنى به كبيرا.[8] أما على المستوى الشعبي فقد غنت أم

كلثوم واحدة من قصائده وهي "حديث الروح" فجعلت الأمم العربية تردد فحوى ما قدمه إقبال في القصيدة بشغف وترنم.

ثانيا: نبذة عن عبد الله كمال (كمالا)

ولد أحمد كمال بن عبد الله بن حاج داود المشهور باسم "كمالا"[9] في 30 يناير 1941م بمنطقة قومباك بولاية سلانجور في ماليزيا. وينحدر كمالا من أسرة علمية وأدبية؛ إذ كان والده عالم دين ويتحدث الإنجليزية بطلاقة. وأما والدة كمالا، واسمها رقية أمير، فمهتمة جدًا بالفن والأدب، وتجيد سرد القصص وتلاوة قصائد شهيرة مثل دندن سيتيا (Dandan Setia) وسيتي زبيدة (Siti Zubaidah) وسيليندانج ديليما (Selendang Delima) وغيرها، بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت أشبه بخزينة للحكايات الشعبية. وكان جد كمالا لأبيه شخصًا مؤثرًا أيضا، كان شيخا ومعلمًا دينيًا في قريته.

تلقى كمالا من جده تعليمه الأولي كتفسير القرآن وعلم الفقه، قبل أن يتلحق بعدد من المدارس بمدينة كوالالمبور وولاية سلانجور حيث ظهرت موهبة كمالا الأدبية مبكرا؛ إذ فاز في هذه المرحلة بجائزة لكتابة القصة القصيرة للأطفال بقصة سماها "مغامرات أحمد". التحق بكلية سلطان إدريس للتربية في عام 1962م، حيث تطورت موهبته الأدبية أكثر وكان ذلك أحد أسباب توليه رئاسة مجموعة من النوادي والجمعيات الطلابية.[10]

ورغم ارتباط كمالا بوظائفه، لم يمنع ذلك عن إكمال مسيرته التعليمية، فالتحق ببرنامج دراسي خارج الحرم الجامعي أو ما يُعرف باالانتساب في جامعة العلوم الماليزية (Universiti Sains Malaysia) حتى حصل على بكالوريوس الآداب مع مرتبة الشرف من كلية العلوم الإنسانية في تخصص الأدب، ثم تخرج بدرجة الماجستير في الآداب عام 1985م من الجامعة نفسها. ثم حصل على دكتوراه في الأدب الملايوي عام 2000م في الجامعة الوطنية الماليزية (UKM).

ترك كمالا مجال التدريس ليتفرغ للكتابة والأدب، وتوظف في معهد اللغات والأدب الماليزي، وكان أول رئيس تحرير للمجلة الشعرية PERISA. وعمل محررا في Dewan Bahasa dan Pustaka حيث تم تكليفه بإدارة مجلات Dewan Pelajar بالإضافة إلى المساعدة في نشر مجلات Dewan Masyarakat و Dewan Sastera و Budaya Dewan. وشغل منصب سكرتير منظمة الكتّاب GAPENA. وكان أيضًا رئيسًا لاتحاد الكتاب الوطنيين في ماليزيا PENA لفترتين. كما كان مؤسس ورئيس جمعية الأدب المقارن الماليزية منذ 1993م.

وعندما ذاع صيته، دُعي كمالا لزيارة مجموعة من الدول كأستراليا، وإندونيسيا، وكوريا، ويوغوسلافيا، ليلقي محاضرات علمية، ويقيم أمسيات أدبية. كما حاز كمالا على عديد من الجوائز والأوسمة طيلة مسيرته، كان آخرها في سنة 2003م حين منح كمالا لقب PUJANGGA من جامعة السلطان إدريس للتربية، وفي عام 2005م منح جائزة الأديب لولاية سلانجور.

تتميز قصائد كمالا بالموسيقى والإيقاع العميق؛ فقد استخدم بمهارة كل قدرات اللغة الملايوية عن طريق استخلاص الأصوات الناعمة من اللغة أحيانًا، وأحيانًا الأصوات التعبيرية والمتفجرة. فيمتلئ كل سطر من شعره بالحركة ويحول كل قصيدة إلى كائن حي. يقول فلاديمير براغنسكي[11] عن شعر كمالا: "إن شعر كمالا عبارة عن صور ورموز صوفية ملايوية تقليدية".

توفي كمالا في 27 أكتوبر 2021م،[12] تاركا رصيدا شعريا كبيرا يصل إلى 9 مجموعات شعرية، ونُشر شعره أيضًا في منشورات دولية مثل هوريسون (إندونيسيا)، وهيميسفير (أستراليا)، وآسيا ويك (هونج كونج)، وجورنال باسيفيك (نيوزيلندا). وترجم له إلى أكثر من لغة من لغات العالم المشهورة مثل: الإنجليزية، والصينية، والأوردية، والنيبالية، والتاميلية، والرومانية، والبنجالية، والروسية وغير ذلك. وإلى جانب ذلك ترجم المعهد الماليزي للترجمة والكتاب

ITBM مجموعته الشعرية "عين" إلى اللغة العربية، كما ترجم"تيتير ذكير"، "وزيارة تانه كدوب"، والقصة القصيرة "البحر العجيب" إلى اللغة الإنجليزية.

المبحث الثاني: فلسطين في شعر إقبال وكمالا

أولا: فلسطين عند إقبال

لعل الشاعر مُحَمَّد إقبال من الأدباء القلائل[13] الذين تنبأوا بسقوط فلسطين في يد الاحتلال ولم يشهد نتيجة تنبؤه هذا، إذ توفي عام 1938م أي قبل صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم القدس بسنوات، ولكن اهتمامه بفلسطين جعله يتوقع مكيدة تحاك على مستقبل فلسطين، وما سيتبعها من أحداث عظام ستعاني منها الأجيال. ومن هنا ظهرت له قصائد ومقطعات تتناول قضية فلسطين بصفة خاصة، ومعاناة الشرق الإسلامي بصفة عامة.

لقد تنبه إقبال إلى أن الاستعمار الغربي مهما برق اسمه وحسن (الانتداب، الحماية)، ما هو إلا فخ نصبته أمم الاستعمار لاصطياد الدول الإسلامية ونهب خيراتها، فيكشف عن حقيقته قائلا:

مَلَكُ الحضارة أين يُخْتَمُ سيْرُه؟ في عصرنا هذا السؤال يسيرُ:
في حيثُ لا خمْرٌ، ولا قَمْرٌ، ولا ضيقُ الثياب على النساء يجورُ
والرّوحُ في بدنٍ قويٍّ خافقٌ لكنْ على سَنَنِ الجُدود يسيرُ
حيث المدارسُ غائض ينبوعها وابن البداوة في الذكاء جَسورُ
يُفْتي جَهابذة الفرنجة أنّما هذي البقاع من التمدّنِ بورُ

فهو هنا يفضح الاستعمار الغربي الجاثم على ديار الإسلام بدعوى إخراج أهلها من البداوة والتخلف إلى التمدن والحضارة. والحقيقة أن تلك الديار كانت تنعم بالاستقرار، وأهلها في أمان، ما داموا متمسكين بدينهم.

ثم يفضح الشاعر الغرب الذي حرّض البلدان العربية على الثورة ضد العثمانيين، حتى قامت "الثورة العربية الكبرى" وهي في الحقيقة لم تكن ثورة بل

كوة للاستعمار الغربي لاحتلال ما لم يكن قد احتلّ بعد من بلاد المسلمين. فقال متحدثا عن أوربا:

أمانتها علتْ عن كل ريبٍ وإقبالٌ مُقِرٌّ دون نُكْرِ
فأوروبا نصيرة كلّ شعْبٍ تشَكي الدهْر من ظلم وضرٍّ
كراماتُ القساوسِ أن أضاءوا سراجَ الكهرباء بكلّ فكرِ
ولكنْ من فلسطينٍ بقلبي وللشّام الكسيرة حرُّ جمرِ
وتلكمْ عقدةٌ ليستْ لحلّ تلاقي كل تدبيرٍ بِعُرّ
من التّرك الجفاةِ نجَوا فلاقوا بأشْراك التمدّن شرّ أسْرِ

ويمعن إقبال في كشف المؤامرة الغربية على الأمم الإسلامية فينقل نصح "لورد" بريطاني ابنه –وكأننا بهذا الابن أحد الساسة ومن أصحاب القرار– ينصحه أبوه باتخاذ اللين للسيطرة على الشرق، فمثلهم لا يصلح السيف معهم، ولكن لا بد من السياسة واللين، وينبهه إلى أن تعليم الخراف شريعة الأسود ظلم ولا ينبغي أن تعلم الأمم الذليلة سبل القوة والحرية، وأيسر طريق إلى السيطرة على الشعوب هو "التعليم" أو قل الغزو الفكري، فمن خلاله يمكن تكوين الجيل الذي يراد كما يشكل الطين تحت يد الخزاف، فيقول:

قال لُرْدٌ من الفرنج لنجلٍ ابغ مرأى يدوم فيه المرادْ
أظلمُ الظلْم للمساكين إعلامُ خِرافٍ شريعة الآسادْ
إنّ للملْك سرّهُ فاكتمَنه: لا ترُمْ بالسيوف قهر العبادْ
وبحمض التعليم فاغمس نفوسا ثم صُغْ طينها وفاق المرادْ

وتوقع إقبال فشل عصبة الأمم التي لم تستطع دفع ظلم، ولا رد حق لأصحابه، وأنها ما قامت أساسا إلا لحماية أوربا وهي بهذا تصب في مصالح إبليس فقال:

مسكينةٌ منذ زمان تحتضرْ لا فاه مقْولي بسيّء الخبرْ
وموتُها مُحتّمٌ لكنما يدعو القُسُوسُ أن يزول ذا الخطرْ

عجوزُ أوروبّا يجوز عيشها على رُقى إبليسَ أيّاما أخرْ

ويستنكر الشاعر دعوى اليهود أن لهم حقا في فلسطين، فإن كان كذلك، فمن حق العرب استرجاع أسبانيا –الأندلس المفقودة. ويكشف عن مكر الإنجليز الخفي بالعالم العربي والإسلامي وأطماعهم في خيراتها المباركة التي عبر عنها بالشهد والرطب:

إنْ في فلسطين اليهودُ رجتْ فليأخذنْ إسبانيا العربُ

للإنكليز مقاصدٌ خفِيَتْ ما إن يُرادُ الشّهْدُ والرُّطَبُ

وفي مقطعة "إلى عرب فلسطين" يقول:

لا يزالُ الزمانُ يصلى بنارٍ لم تزلْ في حشاك دون خُمودِ

لا دواءٌ بلندنٍ أو جنيوا بوريد الفرنج كفّ اليهودِ

ومن الرّقِّ للشعوب نجاةٌ قُوّةُ الذّاتِ وازدهار الوجودِ

هنا يعتمد الشاعر إقبال على أسلوب التجريد، فيتخيل شخصاً يوجّه إليه الخطاب، وما هذا الشخص إلا المسلم المؤتمن على إبلاغ الرسالة المحدية، فالأحرى به أن يحمل بين أضلاعه نارا تتقد، ولا تعرف الخمود حتى يبلغ رسالة نبيه. ومن الانتكاسة أن يلتمس المسلم الدواء عند من كانوا سببا في الداء، فالغرب الذين رمز إليهم الشاعر بلندن وجنيوا، ليسوا على الحقيقة قادرين حتى على التحكم بأنفسهم، بل إن أمرهم في كف اليهود. وهنا يرشد إقبال إلى سبيل النجاة الحقة للشعوب وأنها تتمثل في "قوة الذات" التي من شأنها أن تزدهر بحياة المسلم بل بالوجود كله، وهذه الذات متعلقة دائمة بخالقه، راضخة له، ولكنها في ذات الوقت تستمد منه القوة والهداية، وهو ما عبر عنه إقبال في ديوانين من أهم دواوينه، وهما: "أسرار الذات"، و"رموز نفي الذات".

ثانيا: فلسطين عند كمالا

كتبت قصيدة "قوة عظمى" باللغة الملايوية، وتتكون من واحد وخمسين سطرا، يحتوى كل سطر على جمل تطول أحيانا وتقصر أحيانا أخرى حتى تصل

إلى كلمة واحدة للسطر الواحد. والقصيدة وردت في ديوان Dasawarsa Lima ويعني "خمسة قرون"، وهو ديوان مطبوع في أكثر من ألف صفحة من القطع الكبيرة، ويضم مجموعة من دواوين الشاعر، بدءا من سنة 1960م إلى سنة 2013م أي أنه يضم أعماله الكاملة. إلا أنه للأسف لم يترجم بعد إلى العربية حتى الآن بعكس ديوانه "عين" الذي قام بترجمته إلى العربية منجد مصطفى بهجت.

وقد اختار الشاعر هذا العنوان "قوة عظمى" (Kuasa Besar)[14] لأنه –فيما نظن– يريد أن يسجل اعتراضه على هذه السلطة التي أسيء استخدامها من قبل الدول العظمى قادة هذا العالم، فقد استهلها بالحديث عن هيئة الأمم المتحدة التي جعلت من مدينة نيويورك مقرا لها، ببنائها الشاهق التي لا تغيب عن الأذهان، ولا تكاد تخفى على شاشات التلفاز، بل أصبحت أيقونة لهذا العالم المتحضر بتطاوله، وضخامته، وكان مطلع القصيدة يحتوي على تعجب صريح، وبأسلوب مغرق في التعجب، وذلك حين قال:

hairan bin ajaib
rumah pbb yang perkasa itu
putusan majoriti
tunduk pada persetujuan
kuasa-kuasa besar

وترجمتها:

حيران بن عجيب

بناء الأمم المتحدة العملاق

حيث قرار الأغلبية يخضع لموافقة

القوى العظمى

فنحن نلاحظ هنا تعجب الشاعر واضحا، وبأسلوب عجيب أيضا، حين عبر عنه بقوله: "حيران بن عجيب" في دلالة على عدم انقطاع هذا العجب، كما النسب بين الابن والأب، وهو أسلوب بديع بحق، قد لا نجد له مثيلا في لغات أخرى سوى العربية، التي اشتهرت بكناياتها البديعة كنسبة الخمر

إلى العنب ونحوها. وكان موضع العجب لدى الشاعر، هو ذا البناء المتطاول، الذي يشعر بالهيبة في قلب كل من يقترب منه، لكنه للأسف يحوي تناقضا عجيبا، حين لا تعطى الأغلبية فيه حقها المعهود، بل تكون للقوة العظمى الكلمة العليا.

ثم يقول:

plo disokong hebat untuk sebuah
negara palestine
Bush menyekat Arafat
dari kerusinya duta us menghadiahkan lagi menghadiahkan
veto baru!

وترجمته:

منظمة التحرير الفلسطينية مدعومة بقوة

لإقامة دولة فلسطينية

لكن بوش منع عرفات من مقعده، السفير الأمريكي يعترض مرة أخرى

حق نقض جديد!

وهنا يكتمل تعجب الشاعر، حين يكشف عن أحقية الشعب الفلسطيني ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية في تقرير مصيره، كباقي الشعوب، لكنه يصطدم بهذه القوة التي تمثلها أمريكا في ثوب حق النقض المكفول للدول العظمى فقط.

ويمضي قائلا:

tebing barat jordan
menjadi tebing pembunuhan zionis
bayi, gadis, pemuda, orang tua
ditembak lebih dahsyat
dari anjing-anjing gila
kuasa-kuasa besar terus dengan
kebesarannya
besar kuasa, besar empayar, besar, besar (…)

وترجمته:

الضفة الغربية للأردن

أصبحت هاوية القتل الصهيوني

للأطفال، والفتيات، والشباب، والشيوخ

قتلهم أنكى

من نهش الكلاب المسعورة

والقوى العظمى مستمرة

في غطرستها

قوة عظمى، إمبراطورية عظيمة، عظيمة، عظيمة

وهنا نجد الشاعر يكشف عن آلة القتل الصهويني، الذي لم يفرق بين ضحاياه يافعا أو كهلا، وأنه بلغ في وحشيته مبلغا فاق فيه وحشية الحيوان، وفوق ذلك ظلت القوى العظمى في برجها العاجي كامبراطورية أسطورية، والشاعر كأنه يصفق لها تهكما حين كرر كلمة "عظيمة".

ثم يقول:

kalau begini apalah gunanya
PBB, majlis keselamatan yang impoten itu, hei
tidak lebih baik aku mencadangkan agar
PBB itu ditutup saja operasinya dan kuasa besar ini dilucutkan kuasa vetonya!
besar, besar impiannya besar, besar vetonya

والمقصود:

فما الجدوى إذا كان هذا هو الحال...

مع الأمم المتحدة؟! وما نفع مجلس الأمن (المهم) أفٍ لذلك..

أليس من الأفضل أن أقترح

حل الأمم المتحدة فحسب وتجميد أعمالها وقوتها العظيمة وحق النقض الخاص بها!

كبيرة، أحلام كبيرة كبيرة، كبيرة فيتو.

فالأمر كما يرى الشاعر عبث لا طائل تحته، ومن الأجدر أن يُعمل باقتراحه، حلا وتجميدا، فما هذه القوة إلا أحلام كبيرة، وشتان بين عالم الأحلام وعالم اليقظة.

ثم يقول:

pusar besar, skandal besar, rencana sulit
besar, empayar besar
kukutajamnya mencengkam daging PBB
putusannya sebulat suara negara-negara kerdil
patah dan musnah
dengan kuasa pembatalnya
mengalahkan duta-duta 165 negara lain
berkedip-kedip mata yang mengantuk
selepas berhari-hari
panas-panas membahas
kuasa besar bagai raksasa menggugah:
'anda masuk kawasan larangan
dan melanggar kepentingan negara kami.
awas, sebelum terlambat, akibatnya!

ومعناه:

طموح كبيرة، والفضيحة كبيرة، والخطة سرية

إنها كبيرة، إمبراطورية كبيرة

أنشبت أظفارها في لحم الأمم المتحدة

القرار بالإجماع من أشباه الدول

مكسور ومدمر

مع قوة النقض

لتهزم سفراء مائة وخمس وستين دولة أخرى

كانوا يصارعون جفونهم الناعسة

بعد أيام طويلة من النقاش الساخن

وتأتي القوى العظمى في صورة عملاق يهدر قائلا:

لقد دخلتم منطقة محظورة

وانتهكتم حرمات مملكتنا

فاحذروا قبل فوات الأوان! وإلا...

وكأن الشاعر هنا يردد قول الشاعر العربي:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فالتصويت في مجلس الأمن يصبح عبثا، والجهود التي تبذل من سفراء الدول تذهب هباء منثورا بسبب تعنت الكبار، وانحيازهم لمصالحهم، دون مراعاة لأهداف تجمعهم تحت سقف واحد، وعهودهم التي قطعوها عند إنشاء الأمم المتحدة.

ثم يقول في نهاية القصيدة:

mereka menguasai pbb, menguasai dunia.
terorisme, sabotaj ekonomi-politik-budaya
negara-negara kecil
asia-afrika-amerika latin
menjadi padang-padang pembunuhan
tembak-tembak , genduran bom.bom.
bom diledakkan
kuasa besar datang dengan kebesarannya.
dunia menghadapi realiti
perlembagaan pbb wajar dirombak kembali
demokrasi dan hak yang sama
kalian wajar menyentak usus-usus
bush, xiopheng, gorbachev
sebelum planet bumi ini menjadi neraka

وترجمته:

إنهم يهيمنون على الأمم المتحدة

ويهيمنون على العالم

بالإرهاب وتخريب الاقتصاد والسياسة والثقافة

والدول الصغيرة

في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية

تصبح ميادين قتل بالرصاص والقنابل

وتُدوى قنبلة
تجثم القوى العظمى بعظمتها
ليواجه العالم واقعا مُرا
ويصبح دستور الأمم المتحدة أحوج للإصلاح
الديموقراطية والمساواة في الحقوق
عليكم أن تنتفضوا وتنتزعوا حقوقكم
من "بوش"، و"شيوفنغ"، و"غورباتشوف"
قبل أن يستحيل كوكب الأرض هذا جحيما.

هنا يضع الشاعر أنامله على موضع الألم كطبيب يجس جسد مريضه، ليصف حالته، ويكشف عن أسباب تألمه، إذ يرى أن هذه القوة العظيمة تتحكم لمصالحها في مجريات عمل هذا الصرح "هيئة الأمم المتحدة"، لتكون النتيجة في المقابل معاناة الدول الصغيرة من التخريب والدمار والتقهقر، وفساد الأمم المتحدة وحاجتها إلى الإصلاح، وما السبيل إلى ذلك إلا بالنهوض في وجه الظالمين، أياً كان اسمه، ومهما بلغت مرتبته، وإلا فالمصير المحتوم الفناء والخراب للجميع.

وهذه النهاية يُحمد عليها الشاعر، ذلك لأنه لم يدع اليأس يستحكم في نفوس قارئه، بل أعطى بصيصا من الأمل، ومتنفسا للرجاء، وهذا من أهم خصائص الأدب الإسلامي والتي عُبر عنها بالإيجابية.[15] ومجمل القول في القصيدة، إن الشاعر أبدع في نسجها، وربط أفكارها ومعانيها، بما استخدم من أساليب فعالة، كالتكرار في أكثر من موطن، وكالتصوير المعتمد على التشبيه والاستعارة، لتزيد معانيه وضوحا، وتزدان قصيدته بالحيوية، وتبتعد عن الرتابة والسردية.

الخاتمة:

وبعد، فهذا ختام هذا التطواف المختصر عن "فلسطين في شعر إقبال وكمالا: دراسة موضوعية"، ويمكن إجماله في النقاط التالية:

1. توقف البحث عند محطات من حياة الشاعرين، وعرض لجهودهما الأدبية، وإسهاماتهما الفكرية، حيث تبين مدى الأثر الذي تركهما في المجتمعين المحلي والعالمي.
2. كشف البحث عن مدى أهمية قضية فلسطين لدى الشاعرين، مما جعلهما يتناولان القضية وفقا لرؤيتهما، ولكن ما يميز إقبال أنه تنبأ بسقوط فلسطين وحذر منه، ولم يشهد ذلك.
3. وبما أن إقبال كان يحذر من الكارثة قبل وقوعها، فإنه عمد إلى كشف زيف حضارة الغرب، وتجردها من الأخلاق، وبطلان دعوى اليهود بأن لهم حقا في فلسطين. أما كمالا فقد شهد الحدث مما أتاح له فرصة تصويره وتسجيله، وكشف غدر يهود، وفضح وحشيتهم.
4. اتفق كل من إقبال وكمالا على أن القضية لا تحل بيد الغرب، لأنه لا يملك القرار حقيقة، وأن اليهود هم المستحكمين بالأمر.
5. لم يكن الشاعرين متشائمان، بل كانا إيجابيان، إذ ختما قصيدتهما باستنهاض الأمم والشعوب الإسلامية لانتزاع حقوقهم أمام جبروت القوى العظمى، وكأنهما يشيران إلى مقولة عمر بن الخطاب ﷺ: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".
6. برزت بعض الأساليب البلاغية في كل من شعر إقبال وكمالا، فالأول اعتمد على التشبيه والاستعارات وأسلوب التجريد، وتخير الثاني الأسلوب المباشر، مع لمسات بيانية قليلة من تشبيه واستعارة هنا وهناك، وكل ذلك جعل الموضوع واضحا ووسمه بالحيوية والمتعة.

والله أعلم بالصواب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحواشي والمصادر

1 أحمد شوقي، الشوقيات، ص.... .

2 ينظر: سيد عبد الماجد الغوري، ديوان مُحَّد إقبال، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 2007، ج1، ص22.

3 ينظر: المرجع السابق، ص22.

4المرجع السابق، ص13,

5 حسين مجيب المصري، إقبال والقرآن، القاهرة مكتبة إنجلو المصرية، د. ت، ص156.

6 سعيد الظفر الندوي بن فخر الزمان، "تأثير القرآن الكريم في شعر مُحَّد إقبال"، مجلة الضاد، ص150؛ سورة المائدة، آية: 105

7 الغوري، ص22-23.

8 أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دمشق: دار الفكر، 1960، ص3.

9 ومعنى (كمالا) فيما يقال: الزهرة الفواحة الرائحة.

10 آنذاك منصب رئيس قسم التربية والأدب لجمعية الطلاب، ورئيس جمعية اللغة الماليزية، ورئيس جمعية 60 الأدبية.

11 فلاديمير براغنسكي، أستاذ الأدب واللغة الروسي؛ باحث في فقه اللغة (اللغة الإندونيسية وآدابها) جامعة موسكو الحكومية. ولد في 11 يناير 1945 في موسكو. حصل على بكالوريوس في جامعة موسكو الحكومية سنة 1967، ماجستير في الآداب جامعة موسكو الحكومية سنة 1969، دكتوراه في الفلسفة في الدراسات الآسيوية، معهد الدراسات الشرقية، الأكاديمية الروسية للعلوم، موسكو سنة 1972. ودكتوراه في الآداب الآسيوية من معهد الدراسات الشرقية الأكاديمية الروسية للعلوم، موسكو سنة 1982.

12 "Sasterawan Negara, Kemala meninggal dunia". Berita Harian. 27 Oktober 2021. Dicapai pada 29 Oktober 2021.

13 ومنهم الأديب علي أحمد باكثير، ومفتي حضرموت وعلامتها السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف.

14كتبها في كوالالمبور بتاريخ 16 مارس 1989.

15 ينظر: سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة: دار الشروق، د.ت، ص151 وما بعدها.